مقال في فضل تعمير المساجد وبيان ما تعمر به

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قيوم السماوات والأرضين، وإله الأولين والآخرين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه أجمعين، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فهذه نبذة يسيرة عن: فضل تعمير المساجد، وبيان ما تعمر به حسياً بالبناء والتشييد والإصلاح والترميم والتنظيف والكنس والصيانة، وما إلى ذلك.

ومعنوياً باعتيادها والمحافظة على حضور الجماعة بها وملازمتها لتدارس كتاب الله وقراءته بإقامة الحلقات العلمية النافعة للمسلمين، ونحو ذلك من الذكر والدعاء والاعتكاف.

من المعلوم أن للمسجد أهمية عظيمة ودوراً كبيراً في الإسلام، ومن أهم الدلالات على ذلك هو أن نبينا محمداً ﷺ كان أول مشروع فكر فيه في

مدة إقامته القليلة في بني سالم بن عوف وهو في طريقه إلى المدينة أن بنى مسجد قباء، وهو الذي أنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية.

كما أنه عليه الصلاة والسلام حينما وصل في هجرته إلى المدينة كان أول عمل قام به هو تأسيسه مسجده الذي كان يعمل فيه بيده ويحمل أحجاره بنفسه، والذي صار مقراً للعبادة والشورى، ومقراً قيادياً، ومنتدى اجتماع للتداول في شؤون الدين والدنيا لاجتماع المسلمين فيه خمس مرات لتأدية الصلوات المفروضة، ومدرسة يتدارسون فيها أمور دينهم، تلك المدرسة التي فتحت أبوابها لمختلفي الأجناس من عرب وعجم، ومختلفي الألوان من بيض وسود، ومختلفي الطبقات من أغنياء وفقراء، ومختلفي الأسنان من شيوخ وشباب وغلمان، إلى غير ذلك ممن يريد الإيمان والمعرفة مدرسة تلقن العلم والعمل، وتطهر الروح والبدن، وتبصر بالغاية والوسيلة، وتهذب النفوس، وتعرف الحق والواجب، وتعنى بالتربية الإسلامية الصحيحة، فلقد كان مسجد رسول الله ﷺ مدرسة الدعوة ودار الدولة، فيه يهيئ رسول الله ﷺ ما يهم المسلمين في أمور دينهم.

فلا غرو أن يخرج من هذه المدرسة من الخلفاء أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

ومن القواد أمثال أبي عبيدة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص.

ومن القراء أمثال ابن مسعود، وأبي بن كعب.

ومن العلماء أمثال ابن عباس، وزيد بن ثابت، وغيرهم من تربوا في مدرسته ﷺ و رضي الله عنهم أجمعين.

والمساجد هي بيوت الله سبحانه وتعالى ومكان عبادته الذي تؤدى فيه الصلاة له جمعة وجماعة؛ وقد ورد في كتاب الله آيات كثيرة، وفي سنة نبيه ﷺ أحاديث متعددة بالدلالة على فضلها، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ** ﴾ [النور: ٣٦] الآية. والبيوت هنا هي المساجد، و(أذن) بمعنى أمر، و(ترفع) بمعنى تعظم، و(اسمه) بمعنى توحيده وعبادته وتلاوة كتابه. وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن: ١٨] فأضافها سبحانه وتعالى إلى نفسه لشرفها وفضلها.

وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ** ﴾ [التوبة: ١٨].

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله تعالى أسواقها». أخرجه مسلم في صحيحه.

وتجب العناية ببناء المساجد وتعميرها في المدن والقرى والمحال ونحوها،

وصرف الأموال في ذلك بحسب الحاجة ؛ لأنها مواضع عبادة الله سبحانه وتعالى وبيوته ، وبناؤها من علامات الإيمان إذا اقترن بإخلاص النية والصدق في البناء ، وهي رمز الدين الإسلامي.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل بناء المساجد وتعميرها ، ففي الصحيحين من حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من بنى لله عز وجل مسجداً بنى الله له مثله في الجنة».

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من بنى لله مسجداً قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة». رواه البزار واللفظ له ، والطبراني في الصغير ، وابن حبان في صحيحه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور ، وأن تنظف وتطيب» رواه أحمد والترمذي وقال : حديث صحيح.

وقال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [التوبة : ١٧ – ١٨].

وعمارة المسجد تطلق على بنائه وإصلاحه ، وتطلق على لزومه والإقامة فيه لعبادة الله. فالعمارة يراد بها معنيان : حسية ومعنوية ، وكلاهما

مراد في الآية. والله أعلم.

فالمساجد تعمر بروادها من المصلين والمتعبدين لله؛ حيث يلتقي المؤمنون فيها بالجسد والروح نحو هدف واحد، تجمعهم عقيدة واحدة هي عبادة الله سبحانه وتعالى والتجرد عما سواه، سالكين نهج الإسلام وأخلاق المسلم، ويغشونها تاركين أحوال دنياهم بعد نداء الحق، ودعوة مؤذن الفلاح لأمور الصلاح؛ ليستشعروا باجتماعهم هذا في بيت الله قربهم منه عز وجل، وصلتهم به، خاضعين له، مستجيرين به، راجين رحمته ورضوانه وعونه وتوفيقه، تتمثل في كل منهم عزيمة المؤمن القوي.

ويجب أن تكون المساجد لعبادة الله وحده، وما يتعلق بها مجردة من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، وألا يخالط عبادة الله فيها أي مؤثر.

وعلاوة على ذلك فإن المساجد مكان للوعظ والإرشاد، والتذكير، والتثقيف وتهذيب النفوس وتطهيرها، ومحلاً للتقاضي والإفتاء، ونحو ذلك.

قال أبو حيان: أمْرُ المؤمنين بعمارة المساجد يتناول عمارتها، ورمَّ ما تهدم منها، وتنظيفها وتعظيمها، واعتيادها للذكر والعبادة، ومن الذكر دراسة العلم، وصونها عما لم تبن له من الخوض في أحوال الدنيا.

وللعلماء في المراد بعمارة المساجد أقوال:

فقد ذهب بعضهم إلى أن المراد بناؤها وتشييدها، وترميم ما تهدم

منها، وبناء ما وهى وسقط. وهذه هي العمارة الحسية مستدلين بقوله ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة».

وقال آخرون المراد عمارتها بالصلاة والعبادة وأنواع القربات لله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦]. وهذه هي العمارة المعنوية التي هي الغرض الأسمى من المساجد، ولا مانع أن يكون المراد بالآية النوعين الحسية والمعنوية، وهو اختيار جمهور العلماء؛ لأن اللفظ يدل عليه، والمقام يقتضيه.

قال أبو بكر الجصاص:

وعمارة المسجد تكون بمعنيين؛ أحدهما: زيارته والمكث فيه، والآخر بناؤه وتجديد ما استرم منه، وذلك لأنه يقال: اعتمر إذا زار، ومنه العمرة لأنها زيارة البيت، وفلان من عمار المساجد إذا كان كثير المضيّ إليها.

ويدخل في عمارتها أيضاً صيانتها وتنظيفها عن الوسخ والقذى، وكنسها، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد». الحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه.

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها بعد أيام،

فقيل: إنها ماتت. فقال: فهلا آذنتموني؟ فأتى قبرها فصلى عليها». رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وعلى أي حال؛ فإن من جملة وأهم ما تعمر به المساجد المحافظة على الصلوات في الجماعة وملازمتها؛ حيث رغب رسول الله ﷺ على حضورها، وحذر من التخلف عنها. ومن مظاهر إضاعة الصلاة التفريط في عدم حضور الجماعة، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: «من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتكم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم[1]، وقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... » فذكر منهم: ورجل قلبه معلق بالمساجد، قال النووي معناه: «شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها، واعتياد المسجد من

(١) وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة.

علامات الإيمان كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان».

ومن أهم ما تعمر به المساجد أيضاً الاجتماع فيها لقراءة القرآن ومدارسته وتعلمه وتعليمه، وهو سبب من أسباب الرحمة. وقد ورد الترغيب في ذلك في أحاديث كثيرة، منها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» رواه البخاري.

كما أن وعظ المصلين وإرشادهم وتذكيرهم بأمور دينهم، وأمرهم بما يجب عليهم، ونهيهم عما يجب أن ينتهوا عنه، وإقامة الحلقات العلمية، ولزوم حلقات الذكر والدعاء وعدم مفارقتها أمور مندوب إليها، وتعتبر من أهم ما تعمر به المساجد، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ

ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة». رواه مسلم.

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى تحث على الذكر وعلى حضور حلقاته، وأن الله يباهي بالحاضرين ملائكته.

وإن أهم ما يجب أن يعتنى به هو كتاب الله سبحانه وتعالى، لذا فإنه يجب بقدر الإمكان أن يلحق بكل مسجد فصل دراسي أو أكثر لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم القراءة الصحيحة له وأحكام التجويد، على أن يقوم بالتدريس في ذلك متخصصون في القراءة الصحيحة وعلم التجويد، أصحاب أمانة وأخلاق إسلامية سامية، وهذا من أهم ما تعمر به المساجد.

وإن تعليم الجاهل لأمر مطلوب في الشرع، فيا حبذا لو أوجدت في بعض المساجد فصول أو حلقات لمحو الأمية وتعليم المسلمين فيمن فاتهم التعليم في الصغر ما يتعلق بأمور دينهم مع مبادئ القراءة والكتابة، وتدريسهم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحذيرهم من بعض المذاهب والنظريات

المعادية للإسلام قديماً وحديثاً مما يجهلونه.

وما أجمل أن يلحق بالمسجد مكتبة تحوي الكثير من الكتب الدينية الإسلامية المنتقاة وأن يقوم عليها مختص فاهم يزودها بالجديد من الكتب والبحوث الإسلامية التي تنشر في الصحف والمجلات الإسلامية، وما يجري في العالم الإسلامي من أحداث، فلا يعيش أحد من المسلمين في عزلة عن ظروف إخوانه المسلمين في العالم كله.

ومتى ما تحقق وجود هذه المكتبة فإنها بإذن الله تعالى ستستهوي طلاب المعرفة والراغبين في التزود من زاد الفكر الإسلامي المغذي للعقل والروح والقلب. وهذا من أجل وظائف المسجد وما يعمر به.

هذا، والله أسأل أن يعز دينه، ويعلي كلمته، ويوفق المسلمين إلى العمل بما يرضيه، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

